تظاهرة بعنوان: الفكر التربوي بين التراث الكلامي و الصوفي

ملتقى الوطني من تنظيم جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _قسنطينة_الجزائر

مداخلة بعنوان : الحب في الفكر التربوي الأكبري حفر في المدلول واستجلاء للأثر.

The concept of love in the educational thought of Akbar: a dig up into the meaning and evincement of the effects

من اعداد: الدكتورة رجاتي نورة

benchanora@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة–

الطالبة امزيان وسيلة

amezianewassila01@gmail.com

جامعة الجزائر _01_ بن يوسف بن خدة_الجزائر

2022/01/10

ملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى محاولة توجيه الاهتمام إلى مكنون الفكر التراثي الإسلامي و أهميته و على رأسها ما دار حول الفكر الصوفي الأكبري و قد اخترنا المحبة عنده و دورها التربوي لما لهذه الكلمة من تداعيات تتجادبها فلسفات و ديانات تستدرج بها الآخر بزخرفة لفظها لتوقعه في براثن ممارساتها المناقضة لمدلول المحبة الذي دعا إليه الشيخ محي الدين بن عربي

This intervention aims to draw attention to the essence of Islamic heritage thought and its significance, particularly focusing on Akbarian Sufi thought. We have chosen "love" in his philosophy and its educational role, given the profound implications of this term, which has been the subject of contention among various philosophies and religions. These systems often embellish the term rhetorically to lure others into practices that contradict the true meaning of love as advocated by Sheikh Muhyiddin Ibn Arabi.

مقدمة:

إنّ قراءة ثانية للتراث الفكري الإسلامي باتت أكثر من ضرورية بعد القراءة الاستشراقية لها، ذلك أنّ المنهج الذي قرئ وحقق به التراث، وإن كان في ظاهره يتسم بالموضوعية والعلمية إلاّ أنّ الدراسة العلمية لهذه المناهج توصل إلى أنها كانت في عمومها انتقائية سطرت نتائجها قبل الانطلاق في بحثها وتحقيقها.

وزاد الطين بلّة حين اعتمدت هذه الدراسات وما يستتبعها من أحكام بمصادقة واسعة تكاد تشكل إجماعا، على أنّ ما وصل إليه المستشرقون هو كبد الصواب وبناء عليه صيغت النقود العلمية تحت مسمى التجديد والحداثة، وقد طالت هذه الدراسات كل الإنتاج الفكري الإسلامي وعلى رأسه الكلامي والصوفي.

وانطلاقا من هذا جاءت هذه الورقة البحثية اليوم للمساهمة في ولادة ثانية من قراءة ثانية للتراث الصوفي من خلال قطب من أقطابه وهو محي الدين بن عربي الذي كنت قد تتبعته في مدلول المكان عنده، ثم في التوحيد وأدلته، ثم في السماع الصوفي، واليوم أحاول فهم مدلول الحب وما يترتب عليه نفسيا وعمليا،

وقد اخترت موضوع الحب لأنه الشعار الذي يتبرج به الفكر الإنساني الحديث سواء في الخطاب المسيحي أو في غيره على اعتبار أنه المشترك الذي يجمع بني الإنسان والذي يمكن أن يكون بابا للعيش المشترك الإنساني الآمن، بعيدا عن مقايسة مدى صدقية هذا الكلام على الواقع الدموي الذي يعيشه المستضعفون في العالم اليوم، والواقع الإقصائي الذي يعيشه المسلمون على وجه الخصوص تحت شعارات مناهضة في الحقيقة لأبسط قواعد العيش المشترك.

أولا: مدلول الحب في الفكر الصوفي الأكبري:

ينطلق محي الدين ابن عربي في تعريف الحب من تبيين قسميي الأمور المعلومات حيث منها ما يحد ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها والمتكلمين فيها من الأمور التي لا تحد، فيعرفها من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ما هي ولا ينكر وجودها[1] مؤكدا أنّه لم يقف على أحد حدّه بالحد الذاتي، بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلا بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز وهو الله[2].

وهو " معقول المعنى وإن كان لا يحد فهو مدرك بالذوق غير مجهول، ولكن عزيز التصور وهو مجهول بالنسبة إلى الله تعالى، فإنّ الله ليس كمثله شيء"[3]

1

[2]- الفتوحات المكية: المصدر السابق، ج3، ص487.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص502.

وقد اختار تعريفا للشيخ أبي العباس ابن العريف الصنهاجي[1] يقول فيه" المحبة هي الغيرة من صفات المحبة، والغيرة تأبى إلا الستر فلا تحد"[2]

"الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود، وفي الخبر بالمحب ‘‘ومما أوحى به إلى موسى في التوراة:" يا ابن آدم إنّي وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا" [3] وقد بحثت عن هذا الأثر فوجدته عند ابن تيمية في كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي حيث يقول:" وفي أثر إلهي: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فات كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء" [4]

والمقام ج مقامات وهي:" مكاسب تحصل للإنسان المؤمن ببذل المجهود، وهي مراحل يرتقي فيها المريد في طريقه الى التمكين والاطمئنان القلبي يقول السراج الطوسي في "اللمع": إن قيل ما معنى المقامات؟ يقال: معناها مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع الى الله عز وجل"، وقال الله تعالى: (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) وقال :(وما منا إلا له مقام معلوم)[5]

وقد استشهد محي الدين بن عربي بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على ورود المحبة في حق الله وفي حق المخلوقين، و على ذكر أصناف المحبوبين بصفاتهم، وذكر الصفات التي لا يحبها الله، وذكر الأصناف الذين لا يحبهم الله فقال تعالى لنبيه "صلى الله عليه وسلم" آمرا أن يقول لنا: **چ ڤ ڤ**

---

[1]- ازداد ابن العريف بألمرية بالمغرب عام 481 للهجرة، وتتلمذ على كثير من فقهاء وعلماء عصره كأبي الحسن البرجيني، وأبي القاسم ابن النخاس وأبي جعفر الخزرجي، وأخذ العلم عن يزيد مولى المعتصم بن صمادح.. وسمع الحديث عن أبي علي الصدفي. ومن بين أشهر معاصري ابن العريف الذين ربطته بهم صلة الصداقة وتبادل الكتابات، هناك القاضي عياض، كما عاصر الإمام الغزالي، ومحمود الزمخشري، والقاضي أبو بكر بن العربي والإمام المازري، وأبو الوليد بن رشد الجد ... ..

[2] -المصدر نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

[3]-الفتوحات المكية: محي الدبن بن عربي، ج2، ص483.

[4]- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن تيمية، ص386.

[5]- اللمع: سراج الدين الطوسي

ڦ ڦ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇآل عمران: ٣١

وقال تعالى ڇ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ . ے ڇ المائدة: ٥٤ "

وقال في ذكر الأصناف الذين يحبهم ّ ڇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۋ ۋ ۅ ڇالبقرة: ٢٢٢ ې ۉ ۉ ۋ ڇالتوبة: ١٠٨

ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇآل عمران: ١٥٩

ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇعمران: ١٥٩ "ويحب الشاكرين والمتصدقين". الأحزاب 35. " يحب المحسنين" آل عمران 134. " يحب الذين يقاتلون في سبيله كأنهم بنيان مرصوص" الصف 4.

كما نفى عن نفسه أن يحب قوما لأجل صفات قامت بهم لا يحبها، ففحوى الخطاب أنه سبحانه يحب زوالها ولا تزول إلا بضدها ولا بد فقال:" والله لا يحب المفسدين" المائدة 64.ّ لا يحب الفساد" البقرة 205، وضده الصلاح فعين ترك الفساد صلاح، وقال:" إنّ الله لا يحب الفرحين" القصص 76." لا يحب كل مختال فخور" لقمان 18. " لا يحب الظالمين" الشورى 40. "لا يحب المسرفين" الأنعام 141،ّ لا يحب الكفرين" الروم 45." لا يحب الله الجهر بالسوء من القول" النساء 148."لا يحب المعتدين" المائدة 47.

ثم إنه سبحانه حبّب إلينا أشياء منها بالتزيين ومنها مطلقة فقال ممتنا علينا " ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان" الحجرات 7، وقال: "زين للناس حب الشهوات " آل عمران14. وقال في حق الزوجين:" وجعل بينكم مودة ورحمة" الروم 21.، ونهانا أن نلقي بالمودة إلى أعداء الله فقال:"لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة" الممتحنة1، والمحبة الواردة في القرآن كثيرة.

وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم عن الله أنه قال: "كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني(والحديث فيه سجال بين العلماء ينبغي التحقق منه) فما خلقنا إلا له لا لنا،

لذلك قرن الجزاء بالأعمال فعملنا لنا لا له، وعبادتنا له لا لنا، لذلك قرن الجزاء بالأعمال فعملنا لنا لا له، وعبادتنا له لا لنا، وليست العبادة نفس العمل، فالأعمال الظاهرة في المخلوقين خلق له فهو العامل، ويضاف إليه حسنها أدبا مع الله مع كونها كل من عند الله لأنه قال:" ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها" الشمس 7-8."والله خلقكم وما تعملون" الصافات96.وقال:"الله خالق كل شيء" الزمر62. فدخلت أعمال العباد في ذلك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله يقول: ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به" الحديث. ومن هذا التجلي قال من قال بالاتحاد، وبقوله:" وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى" الأنفال 17، وبقوله:"وما تعملون" الصافات 96، وفي الخبر:"إنّ الله يحب كل مفتن تواب[1]" وفي الخبر: وجبت محبتي للمتحابين فيّ" وفي الخبر: "أحبوا الله لما أسدى إليكم من نعمه" وفي الخبر: "إن الله جميل يحب الجمال، وإنّ الله يحب أن يمدح" أخرجه أحمد وقال عليه السلام:"حبب إلي من دنياكم ثلاث" الحديث، وفي الأخبار في هذا الباب كثيرة جدا، واعلم أن مقامها شريف وأنها أصل الوجود.

وعن الحب صدرنا وعلى الحب جبلنا.

فلذا جئناه قصدا ولهذا قد قبلنا.

ولهذا المقام أربعة ألقاب:

1-**الحب**: وهو خلوصه إلى القلب وصفاؤه من كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه.

2-**الود**: وله اسم إلهي وهو الودود، والود من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمي الود ودا لثبوته في الأرض.

3-**العشق**: وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله:" والذين آمنوا أشد حبا لله" البقرة 165.وقوله:" فقد شغفها حبا"سورة يوسف 30.

[1]- أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند، وفيه من لا يعرف، وحكم عليه العراقي بالضعف. ومعناه في الجملة صحيح، والمراد بالمفتن أي الممتحن بالذنب يقع فيه ثم يتوب منه. والله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}".

أي صار حبها يوسف على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة، وقد وصف الحق نفسه بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التفاف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة (شجرة اللبلاب).

4-**الهوى**: وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب نظرة أو خبر أو إحسان وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع وهذا منزلته فينا مسمى الهوى، قال بعضهم في الحب المولد عن الخبر واستدل عل ذلك كله بأبيات من شعر الغزل.

ويذكر أنّ ألطف ما في الحب ما وجدته ويشرح ذلك قائلا: "وهو أن تجد عشقا مفرطا وهوى وشوقا مقلقا وغراما ونحولا، وامتناع نوم، ولذة بطعام ولا يدري فيمن ولا بمن ولا يتعين لك محبوبك وهذا ألطف ما وجدته ذوقا، ثم بعد ذلك بالاتفاق، أما يبدو لك تجل في كشف فيتعلق ذلك الحب به، أو ترى شخصا فبتعلق ذلك الوجد الذي تجده به عند رؤيته فتعلم أنّ ذلك كان محبوبك وأنت لا تشعر، أو يذكر شخص فتجد الميل إليه بذلك الهوى الذي عندك فتعلم أنه صاحبك، وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب، فتجهل حالها ولا تدري بمن هامت ولا فيمن هامت ولا ما هيمها، ويجد ذلك الناس في القبض والبسط الذي لا يعرف له سبب، فعند ذلك يأتيه ما يحزنه فيعرف أنّ ذلك القبض كان لهذا الأمر، أو يأتيه ما يسره فيعرف أنّ ذلك البسط كان لهذا الأمر، وذلك لاستشراف النفس على الأمور من قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة وهي مقدمات التكوين، ويشبه ذلك أخذ الميثاق على الذرية بأنه ربنا، فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك، فنجد في فطرة كل إنسان افتقارا لموجود يستند إليه وهو الله ولا يشعر به، ولهذا قال:" يا أيها الناس أنت الفقراء إلى الله" فاطر 15.يقول لهم ذلك الافتقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقه الله لا غيره ولكن لا تعرفونه، فعرفنا الحق به، ولما ذقنا هذا المقام قلنا فيه:

علقت بمن.....

وهذا ألطف ما يكون من المحبة، ودونه حب الحب، وهو الشغل بالحب عن متعلقه مستشهدا بقول قيس لليلى، جاءت ليلى إلى قيس وهو يصيح: ليلى ليلى ويأخذ الجليد ويلقيه على فؤاده فتذيبه حرارة الفؤاد فسلمت عليه وهو في تلك الحال فقالت له...أنا ليلى، فالتفت إليها وقال: إليك عني، فإن حبك شغلني عنك، هذا ألطف ما يكون، وأرق في المحبة ولكن دون ما ذكرناه في اللطف.

وبنفي ابن عربي بقاء العقل مع وجود الحب حيث يقول:" وكل حب يبقي في المحب عقلا يعقل به من غير محبوبه أو تعقلا فليس بحب خالص وإنما هو حديث نفس ....ولا خير في حب يدبر بالعقل[1]

ويربط بين ازدياد المحبة مع المشاهدة والشوق مشيرا إلى" تجليه سبحانه في صور مختلفة في الآخرة لقلوب عباده، مستشهدا بما رود في صحيح مسلم من تحوله سبحانه في الصور، كما ينبغي لذاته من غير تشبيه ولا تكييف، ويقسم باالله لولا الشريعة التي جاءت بالخبر الإلهي ما عرف الله أحد، ولو بقينا مع الأدلة العقلية التي دلت في زعم العقلاء على العلم بذاته بأنه ليس كذا وليس كذا ما أحبه مخلوق، فلما جاء الخبر الإلهي بألسنة الشرائع بأنه سبحانه كذا وأنه كذا من أمور تناقض ظواهرها الأدلة العقلية أحببناه لهذه الصفات الثبوتية، ثم بعد أن أوقع النسب وثبت السبب والنسب الموجبة للحب التي نفاها العقل بدليله، وهذا معنى قوله:"فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني" فما يعرف الله إلا بما أخبر به عن نفسه من حبه إيانا ورحمته بنا، ورأفته وشفقته وتحببه ونزوله في التحديد لنمثله تعالى ونجعله نصب أعيننا في قلوبنا وفي قبلتنا وفي خيالنا حتى كأنا نراه فينا لأنا عرفناه بتعريفه لا بنظرنا[2]

وينفي أن يحب أحد أحدا غير خالقه غير أنه احتجب عنه تعالى بحب زينب وسعاد وهند وليلى والدنيا والدرهم والجاه وكل محبوب في العالم....ذلك أن دافع الحب إما الجمال وإما الإحسان ولا جمال ولا إحسان إلا منه وحده.

وسبب الحب النوافل وهي الزيادات

العودة الى الصفحة 489 الفقرة الثانية

[1]- الفتوحات المكية، ج3، ص488.

[2]- المصدر نفسه، ص489.

ومما أوحى به إلى موسى في التوراة:" يا ابن آدم إنّي وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا"

ثانيا: لوازم الحب ومقاماته:

-**الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة:** فلا تتعلق المحبة إلا بمعدوم غير موجود في حين التعلق يريد وجود ذلك المحبوب أو وقوعه (العودة الى الصفحة 490)

-**من أوصاف المحبة أن يجمع المحب في حبه بين الضدين** "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" العودة إلى ص490 الفقرة الأخيرة

-وقد قسم الحب الذي هو صفة للإنسان إلى نوعين:

1- حب طبيعي به يشارك البهائم والحيوانات: وهو الذي يطلب به جميع نيل أغراضه سواء سر ذلك المحبوب أو لم يسره، وعلى هذا أكثر حب الناس اليوم.

2-حب روحاني وبه ينفصل ويتميز عن حب الحيوان: وهو الحب الذي يسعى به في مرضاة المحبوب، لا يبقى له مع محبوبه غرض ولا إرادة العودة الى الصفحة491

3- حب إلهي وهو حب الله لنا وحبنا الله أيضا وفيه تفصيل جميل يستشف منه أثر هذه المحبة المتبادلة بين العبد وربه.العودة الى الصفحة 492

ونخلص إلى أنّ مصطلح المحبة عند محي الدين بن عربي لا يحد بحد لأنه كما يقول الشيخ محمد الصالح الصديق حقيقة والحقيقة لا تحدها الكلمات

وأنه مصطلح شرعي أصيل ورد به الكتاب والسنة

وأنه أساس علاقة الله بخلقه وأساس علاقة الإنسان بربه

وأنه سر سعادة الإنسان وتوزنه النفسي والاجتماعي في الدنيا وسر جزيل الثواب والعطاء له يوم القيامة.

أوصي بإعادة القراءة المؤساساتية للتراث تحقيقا وتدقيقا وتنقيحا وإضافة.

وعلى الله قصد السبيل.